المحاضرة الأولى: النزعة القبلية في الشعر الجاهلي

تكمن أهداف المحاضرة في:

- أن يحدد الطالب مرجعيات النزعة القبلية في الشعر الجاهلي، وذلك من خلال معلقة عمرو بن كلثوم.
- أن يتعرف الطالب على سمات النص الشعري القبلي على مستوى اللغة ، من خلال تحديد خصائص معلقة عمرو بن كلثوم وأهم القضايا التي تثيرها.

مراجع المحاضرة:

علي مصطفى عشا : جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق –الجزء) ٣ المجلد)٨٣

الشحادة، عبد العزيز محمد، ١٩٩٠ ، الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي. رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر.

عبد الغني زيتوني : الوجدان الجَماعِي في الشعر الجَاهلي.

توطئة:

النزعة القبلية تعني تمسك العربي بنسب قبيلته تمسكاً شديداً، وخضوعه التام لشريعة القبيلة. وهذه العصبية هي التي تهب الأفراد القوة والتآزر في مواجهة الأعداء، و ولما كان الشاعر فرداً من أفراد القبيلة فقد اتخذ موقف الملتزم بقضايا القبيلة وحقوقها وواجباتها ، بل إنه تحمل أعباء أكثر، لما له من أهمية في الحياة الجاهلية، لذلك حمل لواء الشعر مدافعاً عن قبيلته أشد الدفاع، ومفتخراً بمآثرها وأمجادها أعظم الافتخار. [1]

ما تقرره هو القرار النافذ الذي لا ينبغي لأحد أن يخرج عليه، على الرغم من ظهور فساده أحياناً، وقد عبّر عن مثل ذلك الموقف دُرَيد بن الصِّمَّة حين قال:

---

(1) عبد الغني زيتوني : الوجدان الجَماعِي في الشعر الجَاهلي

أمـــرتُهمُ أمـــري بمُنْعَـــرَجِ اللِّـــوى فلـم يستبينوا الرُّشـدَ إلَّا ضـحى الغـدِ

فلمـا عَصَـوني كنـتُ مـنهمُ، وقـد أرى غَـــوَايتَهمْ وأنَّـــي غيـــرُ مُهْتَـــدي

ومـــا أنـــا إلَّا مـــن غَزِيَّـــةَ إن غَـــوَتْ غَوَيْـــتُ وإنْ تَرْشُـــدْ غَزِيَّـــةُ أَرْشُـــدِ

إذنْ فثمة مصير واحد لجميع أفراد القبيلة، والالتزام بها يحتّم على الفرد العربي أن يكون مع قومه في السراء والضراء وهذا الاندماج الكامل لشخص الشاعر في هيكل القبيلة أمر غير مقبول، أدّى إلى اختلال في فكر الشعراء، مما جعل العاقل النابه منهم، يتبع جاهل القوم، تحت ضغط الأعراف والتقاليد، وقد يملك رأياً ينقذ به القبيلة لو حملها عليه، لكنه يسير في إطار التبعيّة حيث الغيّ والرشد مرتبطان بالعشيرة[2]

1- **الشعر القبلي**: إن هذا التمسك منبعه خارجي، فكأن الظروف الطبيعية المحيطة بكل قبيلة تدفعها من جميع الجهات فتنكمش على نفسها، ولو أنها أهملت فرداً من أفرادها تعرض لشر عصبة أو قبيلة، ونجا، لعجل على تجنّب قبيلته والابتعاد عنها ونبذها. وتكرار هذا إنما يعني فرط عقد القبيلة التي كانت تمثل الوحدة الأساسية للمجتمع العربي في الجاهلية، وإذا حدث هذا فليس للقبيلة إلا الهجاء المسرِّ المتمثِّل بالتمني خلاصاً من مورثاتها وانتساباً إلى قبيلة أخرى تمنع أفرادها أن يُستباحوا، وتكون الفضيحة حتى في أحسن الظروف،كما قال قريط [3] بن أنيف نفسه:

لـــو كنـــتُ مـــن مـــازِنَ لـــم تســـتبح إبلـــي بنـــو اللقيطـــة مـــن ذُهْـــلِ بـــن شـــيبانا

ويصبح من المحتم على الفرد أن يبقى ضمن إطار قبيلته لأسباب معنوية ومادية، فالجانب المعنوي يعطيه صفة قتالية شجاعة، فيصبح لاحقاً بها، حتى إذا نصرف عنها قليلاً، اتهم بالخوف، فاضطر إلى الدفاع عن نفسه كما فعل طرفة بن العبد:

ولســـتُ بحـــلاّل الـــتلاع، مخافـــةً ولكـــن متـــى يســـترْفِدِ القـــومُ أرْفـــد[4]

---

(2) علي الشعيبي الإيجابية والسلبية في الشعر العربيين الجاهلية والإسلام إتحاد كتاب العرب 2002.ص44

(3) شرح الحماسة للتبريزي. طبعة القاهرة 1955. ج1 /ص17 وقريط هذا هو أحد بني الغبر، وبعضهم قال أن إسلامي.

(4) شرح القصائد العشر، صنعة التبريزي، ص/ 125 – حلب، دار الأصمعي طبعة: 2 1973.

ويعود مردود الجانب المادي على القبيلة فتبدو متمسكة قوية تهابها القبائل الأخرى. ويمكننا ها هنا أن نوجز رأي الباحث علي الشعيبي في كتابه:الإيجابية والسلبية في الشعر العربيين الجاهلية والإسلام حول النزعة القبلية قي الآتي: [5]بين الباحث أنّ العصبية عصبيتان، عصبية مضرّة بالقبيلة، وعصبية مفيدة للقبائل مجتمعة فهي "من الضرورات اللازمة بالنسبة إلى الحياة فهي الجاهلية، لأنها الحائل الذي يحول بين الفرد، وبين الاعتداء عليه، والرادع الذي يمنع الصعاليك والحلفاء، والمستهترين بالسنن من التطاول على حقوق الناس، إذ لا حكومة قوية رادعة ولا هيئة حاكمة في استطاعتها الهيمنة على البوادي، وعلى الأعراب المتنقلين. كما بين الباحث أنّ هناك قبائل متناحرة، وإمارات متناصرة، إذا ارتكب إنسان جريمة في أرضها، وفرّ إلى أرضٍ أخرى نجا بنفسه، وأمّن على حياته هناك ولكنه كان يخشى من شيء واحد، لم يكن لأحدٍ فيه عليه سلطان هو العصبية وسنّة الأخذ بالثأر حيث يتعقبه أهل المغدور، فلا يتركون الجاني يهنأ بالحياة، ولو بعد مضي عشرات السنين حتى يقتل، أو يقتل أقرب الناس إليه. وبذلك صارت العصبية ضرورة من ضرورات الحياة بالنسبة لسكان جزيرة العرب لحمايتهم وصيانتهم من عبث العابثين[6] ".

وتنطلق العصبية من عقال السلبية إذ تصبح مجلس أمن تثار فيه القضايا المصيرية للقبيلة، وتبحث فيه أفضل الحلول المناسبة، وتصبح استشارة أصحاب البيان والرأي في القبيلة أو في غيرها مثار فخر، إذا غاب عن المرء وجه الرأي الصحيح، يقول سعية بن الغريض[7] :

إذا مـــا يَهْتَـــدي حلمـــي كَفَـــاني وأســـــأَلُ ذا البيـــــانِ إذا عَيِيـــــتُ

فهو لا يستتكف عن استشارة غيره إذا غاب عنه الوجه الصحيح، كما أنه يفخر بإعانة قومه وبنصرهم.

وهو لا يسير إلى نهاية الأمر تعصباً، ويعذرهم على بعض تصرفاتهم، فلا يلومهم في وقفتهم بوجه الدهر وأحداثه، ويرى المجد والعزة في ثوب المغامرة. ويصل إلى الإيجابية المطلوبة منه، مما يدل على تطور في وعيه جعله يدرك قضايا السوء والخير، فيفخر لمفارقة السوء، ويخالف هوى النفس إذا بان له الضرر، يقول[8] :

ولا أَلْحـــى علـــى الحَـــدَثان قـــومي علـــى الحـــدثان مـــا تُبْنـــى البيـــوتُ[9]

---

(5) علي الشعيبي الإيجابية والسلبية في الشعر العربيين الجاهلية والإسلام إتحاد كتاب العرب 2002.ص44

(6) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي. ج5 /ص334.

(7) الأصمعيات. ص83، الطبعة الثانية. القاهرة 1961. وسعيُة شاعر متقدّم وهو أخو السموءل.

(8) المصدر السابق نفسه.

(9) لا ألحى: لا ألوم. الحدثان. نوب الدهر وحوادثه.

أُياسِـــر معشـــري فـــي كـــلِّ أمـــر بأَيْسَـــر مـــا رأيـــتُ ومـــا أريـــتُ

وداري فـــي محلِّهـــمُ ونصـــري إذا نـــزلَ الألـــدُّ المســـتميتُ[10]

وأجتنـــبُ المَقـــاذعَ حيـــثُ كانـــت وأتـــركُ مـــا هويْـــتُ لمـــا خَشِـــيتُ[11]

وأحياناً لا يكاد المرء يتبين وجهاً للمسألة،وهنا يأتي دور المحاكمة الفكرية، فإذا حدث أن قتلت القبيلة أحد أفرادها، فما هو موقف الشاعر في القبيلة ذاتها، أو موقف أهل القتيل، وربما كان الشاعر فيهم ؟.

لم يكن في المسألة بت، فبعضهم يفجع بقتل أخيه، ولا ينتقم له، فإذا انتقم له عاد ضرر ذلك عليه، لأن الرجل بعشيرته، وإذا صفح وعفا فهو خير له، فالانتقام من عشيرته يوهن عظمه ويضعف قومه. فعوضاً عن متابعة طلب الثأر الذي يستدعي بدوره ثأراً آخر تنتهي القضية بالوصول إلى حل مقبول (ثمن الدم) فيتقبل المنتقم ذلك على كره منه لأن شرفه قد مس، ولكن المداخلات التي أملاها الحس السليم، ومراعاة المصالح تتغلب على وساوسه فيرضخ للأمر الواقع بعد مساومات[12] . "وفي هذا يقول الحارث بن وَعْلة الجرمي[13] وقد قتل قومه أخاه[14] :

قَـــوْمي هُـــمً قَتَلـــو أُمَـــيْمَ أخـــي فـــإذا رَمَيْـــتُ يصـــيبني سَـــهْمِي

فَلَـــئِنْ عَفَـــوْتُ لأَعْفـــون جَلـــلاً وَلَـــئِنْ سَـــطَوْتُ لأوهِـــنَنْ عَظْمِـــي

وربما تبادر إلى الذّهن أنّ الخوف كان حائِلاً دون الانتقام، ولا يستبعد ذلك، ورغم أنه حوّل الكلام من الإخبار إلى الخطاب فإنه قد أجرى محاكمة عقلية في ذهنه تنم عن إدراك للبيئة وللعادات والتقاليد التي حوله.

---

(10)الألدُّ: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق.

(11) المقاذع: من القذع، وهو الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره.

(12)تاريخ الأدب العربي: (بلاشمير. ج1 /29. دمشق 1964 منشورات وزارة الثقافة.

(13) شاعر جاهلي من فرسان قضاعة، وهو غير الحارث بن وعلة الشيباني.

(14) حماسة أبي تمام، شرح لاتبريزي: ج1 /ص100. القاهرة 1955. وأميم. مرغم. أميمة.

لكن جلاء الأمر في إطار من الإيجابية يظهر في حادثة قتل أقرب كما في قول أعرابي قتل أخوه ابناً له[15] :

أقـــولُ للـــنَّفس تَأْسَـــاءً وتَعْزِيَـــةً إحـــدى يـــديّ أصـــابتني ولـــم تُـــرِدِ[16]

كلاهمـــا خَلـــفٌ مـــن فَقْـــد صـــاحِبِه هـــذا أخـــي حـــين أَدْعُـــوه وذا وَلَـــدِي

يثبت الشاعر في إيجابيّة فيها تعقّل واتّزان أنكل واحد من الأخ الواتر والابن المفقود يصلح لأن يكون عوضاً من فقدان الآخر، فيطفئ، لهيب القلب على الولد المقتول بهذا الفكر المقلوب بالشعر، مدركاً أن الاقتصاص من أخيه يضعف مركزه في القبيلة فيكتفي بمصيبة واحدة.

ومع كثرة النصوص الجاهلية التي تصور التعصب القبلي بأنواعه المختلفة والتي ترفد نهر العصبية الكبير، فإن هناك مواقف أخرى لشعراء من قبائلهم لا تأتي على شاكلة التعصب، وإنْ هي إلاّ شكل من أشكال الأَنَفَة والعزّة. وهذه من السمات الإيجابية الموفّقة التي جاءت في الشعر الجاهلي.

فقتلُ خادمٍ، أحد أثرياء قبيلة (خزيمة) العربية، يثير نخوة سيده فينتقم من القتلة مع أنهم أولاد عمه، ويفارق أهله من أجلهم.

أنفة فيها بسط الحماية على الخدم والموالي. ولو أدّى الأمر إلى فراق القبيلة التي تصبح غادرة باغية كما في قول طرفة الخزيمي[17] :

أَيَـــا راكبـــاً إمَّـــا عَرَضْـــتَ فـــبلِّغَنْ بَنـــي فَقْعَـــسٍ قـــولَ امـــرئ نَاخِـــل الصّـــدر[18]

فـــوالله مـــا فَـــارَقْتُكم عـــن كَشَـــاحةٍ ولا طيـــب نفـــسٍ عـــنكم آخـــر الـــدَّهْرِ[19]

ولكنّنـــي كنْـــتُ امـــرأً مـــن قَبِيْلَـــةٍ بَغَـــتْ وَأَتتنـــي بالمظَـــالِم والفَخـــرِ

---

(15) المصدر السابق نفسه. والرغم، هو الإذلال.

(16) التأساء: ما يؤتسى به من الحزن، والتعزية: حسن التصبر. فهو يطلب التأسّي وحسن التصبر.

(17) شاعر جاهلي من بني خزيمة بن رواحة بن ربيعة.

(18) ناخل الصدر: صافي القلب غير مناف.

(19)عن كشاحة: أي عن عداوة.

فــإنّي لشــرّ النــاس إن لــم أتــبهُمْ علــى آلــة حَــدْبَاء نَائِبَــة الظّهــر[20]

ولكن دافع الأنفة مصلحة شخصية دفعته ليأخذ بثأره. ويبقى أن نلاحظ ضمنياً موافقة الطبقة الغنية المتحكمة برقاب العبيد على تصرف طرفة وأمثاله. ويصبح للمسألة طرف آخر حين نتذكر أن دفاع الأغنياء والمالكين عن عبيدهم يصرّف الطاقة الثورية لدى هؤلاء العبيد، وهذا نوع من علم النفس الدعائي يعرفه البدوي بفطرته.

2- نموذج تطبيقي: معلقة عمرو بن كلثوم:

جاء في **شرح المعلقات السبع للزوزني (الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني)** [21] **أنّ** معلقة عمرو بن كلثوم أشهر شعره وأشعره. وهي حماسية فخرية. وما وصل إلينا منها هو جزء يسير منها. وقد قام عمرو بها خطيبًا في سوق عكاظ، وقام بها في موسم مكة. وبنو تغلب تعظمها جدًّا، ويرويها صغارهم وكبارهم.والخطب الذي دعا إلى نظمها ليس واحدًا على ما يتراءى لمن يتتبع أبيات القصيدة. ويفهم ذلك من اختلاف الرواة في سبب نظمها. ففي "كتاب الأغاني" يصرح أنه **قالها على أثر ما جرى لأمه عند عمرو بن هند وفي كتاب "خزانة الأدب" أنه أنشدها بحضرة الملك عمرو بن هند. فلعله نظمها في الواقعتين.**

وتذكر الروايات أنَّ عمرو بن هند سأل ندمانه ذات يوم عن أم عربية تأنف من خدمة أمه، فقيل له إنها أم عمرو بن كلثوم، فأرسل إليه وإلى أمه، ونصب لذلك سرادقا للرجال وقبة دخلت فيها ليلى أم عمرو بن كلثوم على أم عمرو ابن هند، وكان عمرو بن هند طلب من أمه أن تستخدم أم عمرو بن كلثوم، وحين أمر بإحضار المائدة قالت أم عمرو بن هند « **ناوليني يا ليلى ذلك الطبق، فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها وألحت فصاحت واذلاه يا لتغلب، فسمعها عمرو بن كلثوم** » فأخذ سيفاً فقتل فيه عمرو بن هند وفي ذلك قال معلقته [22] .

---

(20) حماسة أبي تمام: شرح التبريزي: ج1 /ص230. القاهرة 1955.

(21)دار احياء التراث العربي الطبعة الأولى 1423هـ - 2002

22. ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 9 /175. 176.

وينطلق عمرو بن كلثوم من هذا الحدث التاريخي لتمجيد الجماعة متمثلة في قبيلته، وتمجيد مآثرها وشخصياتها وزعمائها، ولذلك فإنَّ الشاعر لا يتحدث عن حدث فردي بوصفه حدثاً خاصاً، وإنما يتحدث عن حدث جماعي أدته الجماعة، شأنه شأن الطقوس الدينية التي تؤدى بشكل جماعي، ولذلك فإنَّ قصيدته تمثل نشيداً جماعياً للقبيلة وليس نزعة ذاتية يعبر فيها الشاعر عن انفعالاته الخاصة، وما دامت كذلك فإن القصيدة تميل إلى التعبير عن العام لا الخاص، ولعل من أبرز ملامح التعبير عن العام استخدام ضمائر الجماعة في القصيدة، مما دفع أبناء القبيلة إلى ترددها، بحيث ألهتهم عن مكارم أخرى فقال فيهم أحد الشعراء[23] :

أَلهَى بَني تَغلبٍ عن كُلِّ مكرمةٍ قصيدةٌ قَالها عَمْرو بنُ كلثوم [24]

يطغى صوت البيت الشعري على القصيدة، ويمكن تقديم الأبيات وتأخيرها على غير ترتيب دون أن يخل ذلك في بناء القصيدة، كما أنَّ القصيدة تفتقر إلى التعبير الفني المشحون بالصور الشعرية، تشبيهية واستعارية، لأن القصيدة نشيد جماعي يراد منه التعبير بالتقريرية والخطابية [25] . .

وقد درس الباحث كريم الوائلي في كتابه الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية إيقاع القصيدة وبين أن عمرو بن كلثوم يحاكي روح المعركة من ناحية، ويؤدي أدوار النشيد الجماعي من ناحية أخرى، وقد تجلى ذلك للباحث من خلال ظاهرة التكرار المتفشية في القصيدة، ويمكننا إيجاز دراسة الباحث للتكرار في :[26]

تكرار الحرف :وقف الباحث كريم الوائلي عند حرف « النون » الذي تعتمده القصيدة حرف روي لها، وهو يؤدي وظيفة جماعية، لأنه يعبر عن الجماعة غالباً، وأمثلة ذلك كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أبا هِندٍ فلا تَعجَلْ علينا وأنظِرنا نُخَبِّرْكَ اليقينا

بأنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً ونُصدِرُهُنَّ حُمراً قد رَوِينا[27]

وَأَيامٍ لنا غرٍّ طِوالٍ عَصينا المُلْكَ فيها أنْ نَدِينا[28]

وَأَنزلنا البُيُوتَ بذي طُلُوحٍ إلى الشاماتِ تَنفي الموعدينا

---

23 . كريم الوائلي الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية

24 . ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، 9 /176.

25 .كريم الوائلي الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية

26 . المرجع نفسه ص ن.

27 . الراية : العلم .

28 . الأيام : الوقائع، الغر : المشاهير، كالخيل الغر لاشتهارها .

وَقَد هَـرَّتْ كِلابُ الحيِّ مِنَّا وشـذَّبنا قَتادةَ مـن يَلينا[29]

متى ننقُـل إلى قومٍ رَحانا بِكـونوا في اللقاءِ لِها طَحينا

نزلتم مَنزلَ الأَضيافِ مِنَّا فأعجَلْنا القِرى أنْ تَشتمـونا

قَـريناكُمْ فعجَّلنا قِراكم قُبيلَ الصُبحِ مِرداةً طَحُونا [30]

نَعُـمُّ أناسَنا ونَعِـفُّ عنهم ونَحمِلُ عنهُمُ مـا حَمَّلـونا

نُطاعِنُ ما تَراخى الناسُ عنا ونَضرِبُ بالسيـوفِ إذا غُشينا [31]

وَرِثنا المجدَ قد عَلِمتْ مَعَدٌ نُطاعِـنُ دُونَهُ حتى يَبِينـا

ألا لا يَجْهَلَنْ أحـدٌ عَلَينا فَنجهَلُ فـوقَ جَهلِ الجَاهِلينا

تكرار كلمة : تكررت « انا » و « نا » و« نحن » في الأبيات التالية :

بأنَّا نُورِدُ الـرايـاتِ بِيضاً ونُصـدِرُهُنَّ حُمراً قـد رَوِيننا[32]

وَنَحْنُ الحابِسُونَ بذي أراطَى تَسَفُّ الجِلةُ الخورُ الدَّرِينا [33]

وَنَحْنُ الحاكمونَ إذا أُطِعنا وَنَحْنُ العازمونَ إذا عُصينا

وَنَحْنُ التاركونَ لما سَخِطنا وَنَحْنُ الآخـذونَ لما رَضِينا

وكُنا الأيمنينَ إذا التقينا وكانَ الأيسرين بَنو أبينا

فَصَالُوا صولةً فيمن يَليهـم وصُلْنا صولةً فيمن يَلينـا

فآبوا بالنِهابِ وبالسبايا وأبنا بالمُلُوكِ مُصَفَّـدينا [34]

تكـرار مقطـع : ويكـون علـى لـونين، أن يكـرر الشـاعر العبـارة نفسـها كمـا فـي البيتـين التاليين :

بأَي مَشيئةٍ عَمْـرو بن هِندٍ نَكـونُ لِقيلكم فيها قَطَينا [35]

---

29. القتاد : شجرذوشوك، والواحدة منها قتادة، التشذيب : نفي الشوك.

30. المرداة : الصخرة التي يكسر بها الصخور، الطحون : الطحن .

31. التراخي : البعد، الغشيان : الإتيان .

32. الراية : العلم .

33. تسف : تأكل يابسا، الجلة : الكبار من الابل، الخور: الكثيرة الألبان، الدرين: ما اسود من النبت وقدم .

34. النهاب : الغنائم، الأوب : الرجوع، التصفيد : التقييد .

35. القطين : الخدم، القيل : الملك دون الملك الأعظم .

بأي مشيئةٍ عمرو بن هندٍ تُطيعُ بِنا الوُشَاةَ وَتَزدرينا [36]

أو أنَّ يكرر المقطع بتوازن إيقاع مفرداته كما هوالحال في الأبيات التالية :

كَأَنَّ سُيُوفَنا مِنَّا وَمَنهم مَخَارِيقُ بأَيدي لاعِبينا 37

كَأَنَّ ثِيابَنا مِنَّا وَمِنهم خُضِبنَ بِأُرجُوانٍ أَو طُلِينا

وَنَحْنُ الحاكمونَ إذا أُطعنا وَنَحْنُ العازمونَ إذا عُصينا

وَنَحْنُ التاركونَ لما سَخِطنا وَنَحْنُ الآخذون لما رَضِينا

وكُنا الأيمنينَ إذا التقينا وكانَ الأيسرين بَنو أبينا

فَصَالُوا صولةً فيمن يَليهم وصُلْنا صولةً فيمن يَلينا

فآبوا بالنِهابِ وبالسبايا وأبنا بالمُلُوكِ مُصَفَّدينا

بأنا المطعمون إذا قدرنا وإنا المهلكون إذا ابتلينا

نماذج شعرية للمحاضرة الثانية: النزعة القبلية في الشعر الجاهلي:

1- **عمرو بن كلثوم:**

لنـــا الـــدنيا ومَـــنْ أضـــحى عليهـــا ونـــبطِشُ حـــين نـــبطِشُ قادرينـــا

إذا بلـــغَ الفِطـــامَ لنـــا صـــبيٌّ تَخِـــرُّ لـــه الجبـــابِرُ ســـاجدينا

ملأنـــا البَـــرَّ حـــتَّى ضـــاق عنّـــا وظهـــرَ البحـــرِ نملـــؤه ســـفينا

شرح القصائد العشر: ص365-366، تحقيق د. فخر الدين قباوة، شرح التبريزي، ط حلب 1973.

2- **دُرَيد بن الصِّمَّة:**

أمـــرتُهُمُ أمـــري بمُنْعَـــرَجِ اللِّـــوى فلـم يسـتبينوا الرُّشـدَ إلَّا ضـحى الغـدِ

36. ازدراه : احتقره .

37. المخراق : سيف من خشب .

فلمـــا عَصَـــوني كنـــتُ مـــنهمُ، وقـــد أرى غَـــــوَايتَهمْ وأنَّـــــني غـــــيرُ مُهْتَـــــدي
ومـــا أنـــا إلَّا مـــن غَزِيَّـــةَ إن غَـــوَتْ غَوَيْـــتُ وإنْ تَرْشُـــدْ غَزِيَّـــةُ أَرْشُـــدِ

الأصمعيات: ص107، للأصمعي، تحقيق شاكر وهارون، ط دار المعارف، مصر 1967.

وقريب من هذا ما عبّر عنه في شعره دريدُ بن الصِّمَّة الذي كبر عليه مقتل أفراد قومه على يد بني الحارث بن كعب, فانبرى يرثيهم رثاء ينطوي على تهديد ووعيد لبني الحارث بانتقام ما بعده انتقام[50].

3- **معاوية بن مالك:**

إنّي امـــرؤٌ مـــن عُصْـــبَةٍ مشـــهورةٍ حُشُـــدٍ لهـــم مَجْـــدٌ أَشَـــمُّ تَلِيـــدُ
ألفَـــوا أبـــاهم ســـيداً وأعـــانهم كـــرمٌ وأعمـــامٌ لهـــم وجُـــدودُ
إذْ كـــلُّ حـــيٍّ نابِـــتٌ بأَرُومَـــةٍ نَبْـــتَ العَضَـــاهِ فَمَاجِـــدٌ وكَسِـــيدُ
وإذا نوافـــق جُـــرأَةً أو نجـــدةً كنـــا، سُمَـــيَّ، بهـــا العـــدوَّ نَكِيـــدُ

المفضليات: ص695-696، للمفضل الضبي، شرح الأنباري، ط بيروت 1920.

4- **سلامة بن جَنْدل السَّعْديُّ** [6]:

إنّي امـــرؤٌ مـــن عُصْـــبَةٍ سَـــعْديَّةٍ ذَرْبَى الأَسَـــنَّةِ كـــلَّ يـــوم تلاقـــي
لا ينظـــرون إذا الكتيبـــةُ أَجْحَمَـــتْ نَظَـــرَ الجمـــال كُـــرِبْنَ بالأوســـاقِ
يَكْفُـــونَ غـــائِبهم ويُقضَـــى أَمْـــرُهم في غـــير نَقْـــضٍ مـــنهمُ وشِـــقَاقِ
والخيـــلُ تعلـــم مـــن يَبُـــلُّ نحورَهـــا بـــدمٍ كمـــاءِ العَنْـــدمِ المهَـــراقِ

5- ورد أن **بدر بن مَعْشَر** من بني مُدرِكَة وقف في الجاهلية، بسوق عُكاظ، يفخر بنسبه، ويقول:

نحـــن بنـــوُ مُدْرِكَـــةِ بـــنِ خِنْـــدِفْ مـــن يَطْعُنـــوا في عينيـــه لم يَطْـــرِفْ
ومَـــنْ يكونـــوا قَوْمَـــهُ يُغَطْـــرِفْ كأنـــه لُجَّـــةُ بَحْـــرٍ مُسْـــدِفْ

ثم مدَّ رِجله، وقال: "أنا أعزُّ العربَ، فمَنْ زعم أنه أعزُّ مني فليضربها". فلم يطق الأحمرُ بن مازن الهَوازِنيّ عنجهيتَه ورفعَ نسب قبيلته فوق أنساب القبائل الأخرى, فاستل سيف, وضرب رجله, فأندرها من الركبة, غير مبال بحرمة الشهر الحرام وقد كاد الشر يستفحل بين قبيلتي الرجلين, لولا أنهم جنحوا إلى الصلح فيما بينهم.

ديوان سلامة بن جندل: ص153–154، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط حلب 1968.

وقد سجل الأحمر تلك الحادثة في شعره, فقال:

إنّي وسيفي حليفا كلّ داهيةٍ ... من الدَّواهي التي بالعَمْد أَجْنِيها

إنّي نَقِمْتُ عليه الفخَر حين دعا ... جَهْراً وأبرز عن رِجْل يُعَرِّيها

ضربتُها آنفا إذْ مدَّها بَطِراً ... وقلتُ دونَكما, خُذْها بما فيها

لمّا رأى رِجله بانْت بركبتها ... أَوْمَى إلى رِجْلِه الأخرى يُفَدِّيها

المؤتلف والمختلف: ص42، للآمدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط القاهرة 1961.

6- **عامر المُحاربيّ:**

أولئك قومي إن يَلُذْ ببيوتهم ... أخو حَدَث يوماً فلن يَتَهَضَّمَا

وكمْ فيهُم من سيّدٍ ذي مَهابَةٍ ... يُهاب إذا ما رائدُ الحربِ أضْرَمَا

لنا العِزَّةُ القَعْساءُ نَخْتَطِم العِدَى ... بها ثم نَسْتَعصِي بِها أنْ نُخَطَّمَا

هُمُ يَطِدون الأرضَ لولاهمُ ارتمتْ ... بِمَنْ فوقَها من ذي بَيَانٍ وأعجما

المفضليات: ص626. والقسعاء: الثابتة. ونختطم العدى: نضرب خطمهم، والخطم الأنف، ويطدون الأرض: يشدونها ويثبتونها

السؤال الإجمالي:

يقول ابن خلدون: « ولا يصدقُ دفاعُهم وذيادُهم إلّا إذا كانوا عصبيةً وأهل نسبٍ واحدٍ، لأنهم بذلك تشتدّ شوكتهم، ويُخشى جانبهم، إذْ نُعْرَةُ كلِّ أحد على نسبه وعصبيته أهمّ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنُّعْرَة على ذوي أرحامهم وقرباهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبةُ العدوِّ لهم »

ناقش القول، مبرزا الخصائص الأسلوبية والفكرية للشعر القبلي،مع ذكر شواهد شعرية؟

سؤال آخر: استخرج أنساق النزعة القبلية من خلال النموذج الآتي:

أبا هِنـدٍ فلا تَعجَلْ علينا وأنظِـرنا نُخَبِّرْكَ اليقينا
بأنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً ونُصـدِرُهُنَّ حُمراً قـد رَوِينا
وَأَيامٍ لنـا غرٍّ طِـوالٍ عَصينا المُلْكَ فيها أنْ نَدِينا
وَأَنزلنا البُيُوتَ بذي طُلُوحٍ إلى الشاماتِ تَنفي الموعدينا
وَقَد هَـرَّتْ كِلابُ الحيِّ مِنَّا وشـذَّبنا قَتادةَ مـن يَلينا
متى ننقُـل إلى قومٍ رَحانا يِكـونوا في اللقاءِ لِها طَحينا
نزلتم مَنزلَ الأَضيافِ مِنَّا فأعجَلْنا القِرى أنْ تَشتمـونا

خاتمة: النزعة القبلية في الجاهلية ظاهرة فيها أخذ وعطاء بين السلبية والإيجابية، وربما اتصل السالب فيها بالموجب أحياناً فتكون الإضاءة المقبولة.وأكثر السلبي نجده عند شعراء القبائل التي كانت مشغولة بالحروب دائماً.

وقد كانت قانوناً تتوارثه أجيال الجاهليين. وعلى العموم فقد كان هذا القانون الصحراوي نفسه موضع التنفيذ أيضاً في مدن الحجاز: الطائف، ومكة، والمدينة[38] ". كما تلخص قوانين العرف المشرّبة الإيجابية، بأن الغرض منها جعل الحياة ممكنة في الصحراء، ولذلك بالحدّ من اندفاعات كل فرد من الأفراد، فلكل ذنب قصاص، ويكفي وجود القوة لتطبيق هذا القصاص، ومن هنا تظهر فائدة الثأر المشؤوم بحد ذاته بما يثيره من أحقاد[39] .

(38) تاريخ الشعور الإسلامية: بروكلمان: ص/ 19 – 20/ الطبعة الرابعة. بيروت 1965م.
(39) تاريخ الأدب العربي. ر. بلاشير ج1 /ص. /48 – 49/. وزارة الثقافة السورية 1964م.